

## الفصل الخامس عشر

### المنى في العراق

ودع المنى خالد بن الوليد حين سفره من العراق إلى الشام حتى تخوم البادية . فلما رجع إلى الحيرة بدأ ينظم الدفاع عن البلاد التي فتحها المسلمون بما بقي له من قوات بعد الذين ارتحلوا مع خالد . ولم يكن المنى في ريب من أن الفرس سيتحشرون به متى علموا بسفر خالد ، وأنهم سيحاولون طرده وطرده المسلمين من الحيرة ومن أرض العراق جميعاً .

والحق أنه كان في موقف بالغ غاية الدقة ؛ فقد بطش خالد بالبلد المقيمين المنى ودقة موقفه بجزيرة العراق بطشاً جعلهم جميعاً خصوماً للمسلمين ، يتربصون بهم الدوائر ويحرصون على مناصرة أعدائهم . وقد تنبه الفرس إلى أن دولتهم مؤذنة بالزوال إذا ظل هؤلاء العرب الغزاة في العراق سلطان . وشعور خالد بن الوليد بدقة الموقف هو الذي دفعه فبعث بالنساء والصبيان والضعفاء من الرجال إلى المدينة قبل سفره إلى الشام . طبعي أن يفكر المنى في هذا كله وأن يطول تفكيره فيه . فهو الذي دفع أبا بكر إلى غزو العراق ، وهو الذي تقدم خالداً والمسلمين جميعاً إلى مفاتيحه بالسير إلى دلتا النهرين . فليس من الهين على نفسه أن يهزم في بلد كان الطليعة في غزوه . وأشد من ذلك عليه أن تبلغ به الهزيمة حتى يجلو عن هذا البلد بعد فتحه .

وزاد الموقف دقة أن هذا الاضطراب الذي ساد بلاط فارس سنوات متتالية . فقد اتفق أهل فارس فلكوا عليهم شهريران<sup>(١)</sup> ابن أردشير بن سابور . فلما اطمأن له الأمر كان إجلاء المسلمين عن العراق أول ما استقر عليه عزمه . وما له ينتظر والفرصة سانحة وخالد بن الوليد غائب بالنصف من جيش هؤلاء الغزاة ! . لذلك وجه هرمرز جاذويه في عشرة آلاف لمحاربة المنى . وجعل هرمرز في مقدمة جيشه فيلا من فيلة الحرب يخوف به المسلمين ويشتم صفوفهم .

( ١ ) وقيل شهر بازان ، أو شهر بازار ، أو شهر براز .

وبلغت المنى أنباء هذه التجهيز ، ثم بلغته أنباء تحرك هرمز وجيشه . أترأه ينتظر حتى يجيء إليه بالحيرة متخطياً حدود البلاد التي فتحها المسلمون ؟ ! كلا ! بل خرج هو كذلك بجنوده وجعل أخويه المعنّى ومسعوداً على ميمنته وميسرته وسار حتى بلغ أطلال بابل . وإنه لني مسيرته إذ جاءته رسالة من شهريران يقول فيها : « إني قد بعثت إليك جنداً من أهل فارس . وإنما هم رعاة اللجاج والخنازير ، ولست أقاتلك إلا بهم » . وتناول المنى الرسالة وتلاها ، فلم يلبث أن رد عليها مع الرسول الذي جاء بها برسالة يقول فيها : « من المنى إلى شهريران ، إنما أنت أحد رجلين ، إما باغ فذلك شر لك وخير لنا ، وإما كاذب فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله وفي الناس الملوك . وأما الذي يدلنا عليه الرأي فإنكم إنما اضطررتم إليهم . فالحمد لله الذي رد كيدهم إلى رعاة اللجاج والخنازير » .

بُهِت أهل فارس حينما عرفوا رسالة المنى وعرفوا مسيرته . فلم يكن أحد منهم يتوقع أن تكون في المسلمين هذه القوة بعد انصراف خالد عنهم ؛ بل لقد أخذ بعضهم ملكهم أن يخاطب قائد جيش باللهجة التي أفرغ فيها رسالته ، وقالوا له : « جرأت علينا عدونا بالذي كتبت به إليهم ؛ فإذا كاتبنا أحداً فاستشر » .

عسكر المنى بجيشه على مرتفع من أطلال بابل على خمسين ميلاً من المدائن ، وأقام بين شبكة من جداول تتصل بدجلة ينتظر هرمز جاذويه وهجومه عليه . وأقبل هرمز بجيشه يتقدمه الفيل وكله الاطمئنان إلى أنه مشتمت شمل المسلمين لا محالة . وسار الفيل يضرب بخرطومه يمنة ويسرة ، ويفرق صفوف المنى ويوقع الرعب فيهم . وأيقن المنى أن انتصاره رهن بالقضاء على الفيل ، فخرج في جماعة من رجاله فهاجموه فأصابوا منه مقتلاً فهوى جسمه على الأرض سريعاً ، هنالك التأم صفوف المسلمين وقويت روحهم ، فهاجموا الفرس فهزموهم شر هزيمة . واحتل فريق من رجال المنى معاقل الفرس وتعقب سائرهم المنهزمين حتى انتهوا بهم إلى أبواب المدائن .

قتل الفيل  
وانتصار المسلمين

ونزلت أنباء الهزيمة بشهريران نزول الصاعقة فحُمّ فأت ، وأراد الفرس

عود الاضطراب  
إلى بلاط فارس

أن يملكوا عليهم ابنة كسرى ليفرغوا إلى تنظيم شئونهم كرة أخرى . ولم يُنفذ لها أمر فخلعت ، وخلقها على العرش سابور بن شهريران . واستوزر سابور الفرخزاد وأراد أن يزوجه آزر مبيدخت ابنة كسرى ، فغضبت ألا يكون زوجها من بيت الملك ، وقالت لسابور : « يا بن عم ، أتزوجني عبدي ! » . لكن سابور لم يسمع لقرولها وأغلظ لها في الخطاب ، فاستعانت بسياوخش الرازي أحد فتاك الأعاجم . فلما كانت ليلة العرس ودخل الفرخزاد معخدع آزر مبيدخت ثار به الفاتك فقتله ومن معه ، ثم سار بابنة كسرى وأعوانها إلى سابور فحاصروه ودخلوا عليه فقتلوه ، وجلست آزر مبيدخت على العرش مكانه .

المنى يستعين  
الصديق بالتائبين  
من أهل الردة

ترامت هذه الأنباء إلى المنى فاطمأن ؛ وما خوفه من بلاط عاد إليه الاضطراب والغدر واختلاف الجالسين على العرش ! ! لكنه إن أمن يومه فالخذر يقتضيه الحساب لغده . وسار بجيشه بطارد الفرس حتى بلغ أبواب المدائن ، فهو يطمع في أن يفتحها . ولا بد له ليفتحها من مدد يقوى جيشه . وما كان أبو بكر ليمدّه وجيوش المسلمين كلها بالشام . لذلك كتب المنى يخبر الصديق بانتصاره على الفرس ويستأذنه في الاستعانة بمن ظهرت توبتهم من أهل الردة . وإذ كان يعلم أن أبا بكر لا يطيب نفساً بهذا الرأي فقد أيدته بأن التائبين من أهل الردة يطعمون في مغام الغزو ، وأنه لا يرى أحداً أنشط إلى معاونته في محاربة فارس منهم . وفي انتظار المدد أقام يدبر خطته . ويحكم تدبيره .

لكن انتظاره طال وأبطأ عليه رد الخليفة . هنالك انسحب في الجيش إلى أدنى أرض العراق من حدود البادية ، واستخلف بشير بن الحصاصية على من بالعراق من المسلمين ، وذهب بنفسه إلى المدينة يدافع عن رأيه . وألنى أبا بكر اشتد به المرض حتى أشفى على الموت . مع ذلك استقبله الخليفة وسمع إليه واقنع برأيه وقال : « علىّ بعمر ، وكان قد استخلفه ؛ فلما جاء قال له : « اسمع يا عمر ما أقول لك ، ثم اعمل به . إنى لأرجو أن أموت من يومى هذا . فإن مت فلا تُمسين حتى تندب الناس مع المنى . وإن تأخرت إلى الليل

وصية أبي بكر  
لعمر في أمر  
العراق

فلا تُصَبِحن حتى تندب الناس مع المثنى . ولا يشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم . وقد رأيتني مُتَوَفَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صنعتُ ، ولم يُصَبِّ الخلقُ بمثله . وبالله لو أني عن أمر الله وأمر رسوله لخذلنا ولعاقبنا فاضطربت المدينة ناراً . وإن فتح الله على أمراء الشام فاردُّ أصحاب خالد إلى العراق فإنهم أهلُه وولاءُ أمره وحده ، وهم أهل الضراوة بهم والجرأة عليهم .

ووعدهم أن ينفذ أمر أبي بكر . وكان يقول من بعدُ : « قد علم أبو بكر أنه يسوعنى أن أوامر خالداً ، فلهدا أمرنى أن أرد أصحاب خالد وترك ذكره معهم » .

وعاد المثنى إلى العراق أول ما استخلف عمر . ورفع عمر الحظر عن عادوا إلى الإسلام من المرتدين لينهضوا إلى حرب فارس . وما لهم لا يفعلون وقد فتح الله على المسلمين ! ثم ما لهم لا يسارعون إلى الخيرات يتطهرون بجهادهم من حوبة ردتهم ، فإن استشهدوا فلهم الجنة ، وإن أقاموا بعد النصر فلهم النوى ما يجعل الحياة جنة أمامهم ! .

ولقد استفتح عمر عهده بمتابعة حروب فارس ؛ فكان هؤلاء الذين عادوا إلى الإسلام من حسن البلاء ما أرجو أن أقص نبأه في خلافة الفاروق .